الدكتورة: فاطمة سوالمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-
البريد الإلكتروني: soualmifatima@gmail.com
جامعة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة
كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان

عنوان الملتقى الوطني:

سؤال الإنسان في علم الكلام بين نصوص التراث والفكر الإسلامي المعاصر

- مقاربة في الاستعادة نموذج الإنسان

عنوان المداخلة:

فاعلية الإنسان عند أعلام الجزائر–أحمد عروة أنموذجا–

Human efficiency in Algerian Figures –

Ahmed Aroua as an epitome –

من تنظيم: كلية أصول الدين

الملخص:

يعد المفكر أحمد عروة من النماذج المعرفية الجزائرية التي جمعت بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، اتخذ من العقل منطلقا لأفكاره التي تمحورت حول الدفاع عن الإسلام وإثبات أن العقل والدين منهجين متكاملين غير قابلين للانفصال منبها على حالة الانسداد التي وصل إليها العقل المسلم المعاصر بضغط الموروث الثقافي الذي أساء للإسلام بفهمه الخاطئ، حيث أفرغ من مضمونه الحيوي الفعال الذي يحتفي بالحياة ويؤصل للسعي في مناكب الأرض وانبهاره بتحديات الحضارة الغربية المادية المعاصرة.

تأخذ الفاعلية الإنسانية قوتها عند أحمد عروة من الارتباط الوثيق بين فعل التعقل الذي يمارسه الإنسان عبر عملية الإدراك والتدبر والفهم والنظر وبين الدين الإسلامي باعتباره وصفا لرؤية الحياة

والعالم والإنسان.

Abstract

The scholar Ahmed Aroua known as one of the Algerian erudite that amalgamated both Islamic and Western cultures. His thoughts revolved around advocating Islam through providing evidence that reason and religion are intertwined and ravelled approaches ; highlighting the impediment raised by the contemporary Muslim mind ascribable to the pressure of the cultural heritage that has misused Islam with its wrong understanding, as it has voided it from its inherent and fundamental content that commemorates life and initiates the investigation throughout the world, owing fear and reverence to the challenges of contemporary materialistic Western civilization. Therefore, Human efficacy originates from Ahmed Aroua's tight connection between deeds and reason that man practices through the process of perception, contemplation, understanding and consideration through the Islamic vision as a representation and elucidation of the outlook of life, the world and human being.

المقدمة

إن موضوع الفاعلية الإنسانية في فكر الدكتور أحمد عروة تتمحور في اشتراطية الفكرة الدينية أو بمعنى أصح الدين وكذا العلم والمعرفة كزوج دافع وباعث للفعل الإنساني نحو الفاعلية الحضارية، لأن فعل التحضر يرتكز في تكامل التصورات العقدية السليمة مع الأطر والأدوات المعرفية والعلمية من غير تعارض لكل معطيات العلم بعد التجريبي بعد التثبت والتمحيص لمخرجات العلم المعاصر ، لأن العقل الإنساني لا يمكنه الوصول إلى الحقيقة إلا بنور الإيمان والعلم على مستوى سلوكه لأنه بالإيمان والمعارف يتجاوز واقع معارفه الكونية إلى اليقين بالغيبيات وبالعلم يتجاوز القوانين التي تسير في نظامها الكائنات الجامدة والحية. إلى حدود هذا الكلام نصل إلى إشكال هذه الدراسة ك

إشكالية الدراسة:

ما هي شرائط الفاعلية الحضارية الإنسانية؟

ما هي طبيعة العلاقة بين الدين والعلم في فكر أحمد عروة؟

ما هي مستويات الفاعلية الحضارية الإنسانية في فكر احمد عروة؟

أولا: ترجمة ومفاهيم:

1-ترجمة أحمد عروة:

ولد الدكتور أحمد عروة بقرية آمدوكال ولاية باتنة يوم الثلاثاء 29شوال 1344هـ/ 11ماي1926م، والده هو العالم الفقيه محمد الصديق الذي تعهده بالرعاية والإنبات الحسن، حفظ القرآن الكريم على يد الشيخ بالمحفوظي، أما اللغة العربية فقد تلقى مبادئها وعلومها على يد والده وحال بلوغه سن السابعة انتقلت الأسرة غلى مدينة القليعة غرب الجزائر العاصمة ولاية تيبازة حاليا سنة1933اين كان والده يشغل وظيفة مدرس في المدرسة الحرة وهناك زاول أحمد عروة مرحلتي الإكمالية والابتدائية إلى أن حصل شهادة الأهلية والتحق بثانوية بيجور (الأمير عبد القادر حاليا)، التي لم يكن تعليمها بها منتظما بسبب مواقفه السياسية والاجتماعية ووعيه الوطني ، فما لبث أن عاد إلى مسقط رأسه سنة1946م حيث اشترك بنفس السنة في تأسيس مجموعة كشفية

تحمل اسم "فوج الأمير خالد"، وبعدها قرر مواصلة دراسته بالثانوية إلا أن طلبه قوبل بالرفض فقرر مواصلة دراسته بجامعة (mantpelier)

الفرنسية التي درس بها الطب وأنهى دراسته بها عام 1955م عائدا إلى الجزائر وتحديدا البليدة أين دخل في تربص تكويني إلى غاية ديسمبر 1955م، ثم رجع إلى منبولي مرة أخرى لمناقشة أطروحة الدكتوراه[1]

وبعدها رجع إلى الجزائر وزاول التطبيب بعيادته بحي بلكور الشعبي، وخلال حرب التحرير اعتقلته السلطة الاستعمارية بسبب نشاطه المهني ومداواة عدد كبير أصيبوا بجراح خلال مظاهرات 11ديسمبر1960م، وبعد الاستقلال واصل الدكتور أحمد عروة مزاولة مهنة الطب وإلقاء محاضراته بجامعة الجزائر إلى أن التحق بالوظيف العمومي سنة1971م ليتم تعيينه في المعهد الوطني للصحة العمومية تخصص الطب الاجتماعي ، وخلالها قام بتأسيس الجمعية الجزائرية لتاريخ الطب برفقة البروفيسور سعيد شيبان وقد تكلل مشواره المهني بدرجة الأستاذية في العلوم الطبية التي أهلته لمنصب المستشار بوزارة الصحة، وكانت حياته حافلة بالإنجازات والنجاحات إلى أن وافته المنية في 27فيفري1992م.

آثاره العلمية:

- الإسلام في مفترق الطرق ,L'islam à la croisée des chemins-

- الإسلام والعلم L'islam et la science-

- L'Islam et la morale des sexes

-L'Islam et la démocratie

-المناهج العلمية العلمية لمعرفة خصائص الأدوية عند ابن سينا

-الوقاية وحفظ الصحة عند ابن سينا

-آفاق إسلامية لفلسفة وسياسة الصحة[2]

2-مفهوم الفاعلية:

---

[1]-أحمد عروة، العلم والدين مناهج ومفاهيم، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1408ه-1987م، ص195-196.

2-محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الثالث حول حياة ومآثر وفكر الدكتور أحمد عروة-رحمه الله- الذي نظمته جمعية الثقافة والتراث بأمدومكال بجامعة باتنة يومي11و12 ماي 2011م

-وانظر أبو عمران سامية، المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه الإسلام في مفترق الطرق، مقال بكتاب جماعي الدكتور احمد عروة 14رمضان 1436هـ-1جويلية 2015، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، ص184.

الفاعلية تنصرف إلى ذلك النشاط أو الممارسة حيث يذكر أحمد مذكور: "أطلق هذا اللفظ في أوائل القرن الماضي على قسم من أقسام علم النفس فقيل الفاعلية أي الحياة الفاعلة

,vie active

وهي تشمل البحث في الظواهر النفسية المتعلقة بالنزعات والغرائز والعادات والإرادات ثم أطلق بعد ذلك على كل عملية عقلية أو حركية تمتاز بالتلقائية"[3]

والفاعلية من الفعل والفاعل والفعال ، يقول الشريف الجرجاني: "الفعل هو الهيئة العارضة للمؤثر في غيره بسبب التأثير أولا كالهيئة الحاصلة للقاطع بسبب كونه قاطعا وفي اصطلاح النحاة ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة"[4]

أما في المباحث الأخلاقية فإن الفاعل هو الموجود الحر المسؤول عن أفعاله من حيث هو القوة التي تحيل معطيات الحس المفردة والمشخصة غلى كليات مجردة ولذا صار الفاعل أو الفعال من له القدرة على الفعل أي ما يتصف بالنشاط والفاعلية، ويطلق في علم الطباع على الشخص المتصف بالانفعال ، وهذا يعني أن الفاعلية هي الأثر لأفكارنا على أرض الواقع فكل عمل أو قول لا يحقق نتائج عملية يكون فاقد الفاعلية من حيث هي قوة داخلية تبعث في النفس القدرة على العمل الدؤوب والحركة المستمرة مكن أجل تحقيق أفضل النتائج على المستوى الفردي والاجتماعي[5]

ثانيا: مركزية الدين في الفاعلية الإنسانية:

تقوم الفاعلية الحضارية في فكر الدكتور أحمد عروة على ضرورة ولازمة تحكم الوصل بين الفهم السليم للدين الإسلامي وإسقاطاته الوظيفية، التي تمثل محور شروط الفاعلية الإنسانية ولوازمها المنهجية، لذا نجده يناقش هذا الإشكال في كتابه الإسلام في مفترق الطرق حيث يرى أن الإسلام في الحقيقة لم يكن أبدا معاديا للمدنية والحضارة وعلى الرغم من ذلك نلحظ تظافر أسباب انحطاط العالم الإسلامي لأنه مازال يعاني من مظاهر التخلف والانكفاء على طقوس ورسوم مظاهر العبادة دون الوصول إلى لب ومقاصد التدين، وهي طهارة النفس وفعاليتها والسعي نحو الانخراط في رهانات الأمة والإقبال على الاجتهاد والتخلي عن التقليد الأعمى المؤدي

---

[3]-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع آميرية، القاهرة، 1403هـ-1983م، ص230.

[4]-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م، ص41.

[5]- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ج1، ص220.

إلى التصورات الخاطئة والخرافات التي رافقت ذلك التصوف النظري الذي أهمل القضايا الاجتماعية والرجل هنا يقصد ذلك النسق الطرقي القابع خارج أسوار هموم الأمة وتحدياتها، لذلك فالدكتور يؤكد على حتمية وضرورة تعود الفرد على الاجتهاد الآمر الذي يضمن لهم مستوى ثقافيا فاعلا يمكنه من مواجهة المشاكل المستجدة خاصة والعالم الإسلامي يعاني من جهل عميق بحقيقة الإسلام وروحه المتصلة بمبادئ الشريعة الإسلامية وأبعادها العقدية في انفتاحها على الآخر الديني والثقافي، مما يوضح الخلل الذي تمارسه بعض نماذج العلماء المعادية للفكر الأجنبي دون اطلاع أو معاينة لأنهم اكتفوا بالعداء المتوارث فحملوا العامة على أداء الواجبات الدينية دون التعمق في معانيها[6]

وهذا يعني التركيز على الفكرة الدينية في الفاعلية الحضارية في فكر الدكتور أحمد عروة وهو الأمر الذي يجمعه مع المفكر مالك بن نبي لأن الإنسان هو المكون الأساسي للحضارة وبذلك استحالت سبل الاصلاح والتغيير دون القيام بالمراجعات الجدرية على مستوى النفس الإنسانية لأنه قانون وسنة كونية: " **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**" **الرعد: 11**

لأن التحضر أو الفعل الحضاري هو بالأساس نظرية في المعرفة لأن الدين عند مالك بن نبي كما هو عند الدكتور أحمد عروة يعبر عن ظاهرة كونية تحكم الأفراد في أفكارهم و حضارتهم كقانون النظام الكوني الذي يطوف في مدارات مختلفة من حيث عدم اقتصار الفكرة الدينية على ذلك النسق من الأفكار الغيبية الموصى بها[7]، إنها أبعد وأعمق من ذلك، فهي ذلك القانون الذي يحكم فكر الإنسان و يوجه بصره نحو أفق أوسع تقوم بتحري الفعالية الإنسانية في كل المجتمعات على اختلاف عقائدها و شرائعها التي تدين بها وهي المسؤولة عن تأدية المجتمع لعمله التاريخي لأن العلاقة الروحية بين الله والإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية في صورها القيمية و الدينية و هما مؤشران على حركة الفاعلية من الوجهة الكونية إذ العلاقات الاجتماعية و الدينية لها نقطة البداية في الانطلاقة الإنسانية الفاعلة كما هو حاصل في الديانة الإسلامية حيث بدأ نزول الوحي على النبي –صلى الله عليه وسلم–والمجتمع الإسلامي بدأ في المدينة المنورة القائمة أساسا على الفهم السليم للدين وعدم مناقضتها للواقع الاجتماعي بكل ظروفه ومستجداته الراهنة.

---

[6]–أحمد عروة، الإسلام في مفترق الطرق، المؤسسة الوطنية ، الجزائر، 1966م، ص23. وانظر: أبو عمران سامية، مرجع سابق، ص185.

[7]–بوترعة بلال : الفكرة الدينية وبناء الحضارة هند مالك بن نبي(الجلفة، مجلة المدار، جامعة زيان عاشور، المجلد1، العدد2) ص176،177.

وبخصوص هذه الأزمة يركز أحمد عروة على ضرورة الجمع بين الدين والعلم وبعبارة أخرى نجده يحكم الربط بين الفعالية الإنسانية وتجديد فهم تعاليم الدين طبقا لما يناسب العصر ومستجداته أي استرجاع الزمن الضائع باكتساب علوم العالم الحديثة وتقنياته المتطورة [8]

ثالثا: موقع المعرفة في شرائط الفاعلية:

يذكر الدكتور أحمد عروة أنه ينبغي تحصيل وتحقيق المعرفة كشرط من لوازم الفاعلية الإنسانية بالقدر الذي يتيح لنا أن نكتشف في أنفسنا الطريق الأمثل لتثبيت دعائم البنية الحضارية لأنه من خاصية الإنسان أن المولى عز وجل خوله العقل وجعل فيه القدرة على الإدراك والتعلم والإبداع والتدبر وهي تعبر بمعنى آخر عن وظيفة العلم على مستوى الإنسان وفق المحاور الآتية:

1-استكشاف العالم الطبيعي بغرض:

أ- تأكيد الصلة بين الخالق والمخلوق عن طريق التدبر والتأمل في آيات الكون والاعتبار لتقصي مضامين الجمال والجلال، يقول المولى جلا وعلا: **"ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ"** آل عمران: 191.

ب-البعد العملي أي التعرف على سنن الطبيعة وقوانينها وثرواتها وطاقاتها لتوظيفها وتسخير ها لصالح النفع الإنساني

2-استكشاف المقاصد والغايات من وجود العالم:

وذلك بإبرازا القيمة المعرفة المرتبطة بعمق التصور السليم لارتباط المعتقد الإسلامي بأدوات المعرفة وغاياتها[9]، وهنا يمكننا تلمس الاتفاق الحاصل بين الدكتور أحمد عروة والإمام عبد الحميد بن باديس في اعتباره العلم كلمة جامعة لأشكال المعرفة التي تنطبق على حقائق الدين وعلوم الحياة لذلك نجده يقول: "العلم وحده هو

1-أحمد عروة، العلم والدين –مناهج ومفاهيم-، ط1، دار الفكر العربي ، دمشق، 1408هـ-1987م، ص195-196. وانظر:لحلح الزهرة، التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه –العلم والدين مناهج ومفاهيم-كتاب جماعي حول أحمد عروة، 14 رمضان 1436-1جويلية2015م، ص47-50.

[8]

-المرجع نفسه، ص

-.وانظر: أحمد عروة، ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي، المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على الخصوم، 9-12سبتمبر1989م، ص18.

الإمام المتبع في الحياة في الأقوال والأفعال والاعتقادات "، وهذا يعني أن أي سلوك إذا لم يقم على دعامة العلم ومعرفة صحيحة فإنه يبقى عاجزا عن إرشاد الناس إلى روح السلوكات الفاعلة.[10]

ومما يستفاد من فكر الرجل رفض القطيعة بين المعرفة الدينية والعلم لأنه يؤكد على أنه بالرغم من قصور العقل عن إدراك الحقائق الإيمانية إلا أنه لا يظهر التناقض بين معطيات العلوم الطبيعية والعلوم الدينية إلا في حالتين:

الأولى: وهي التي يخطئ فيها رجل العلم جهلا منه بحقيقة الدين.

الثانية: وهي التي يخطئ فيها رجل الدين جهلا منه بحقيقة العلم.

اما بالنسبة للدين الإسلامي فإن الدكتور أحمد عروة يرى بأنه يستند في أصوله إلى الجمع بين منهجين غير قابلين للانفصال منهج العقل ومنهج الوحي كوحدة أساسية تنطق بها الآية الكريمة: "**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓاء إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُور**" فاطر: 28.

مما سبق يتضح التلازم الذي يقيمه أحمد عروة دونما تعارض بينها وأي تعارض يمكن أن يتبادر إلى الأذهان هو في الحقيقة يرجع إلى نظرة متباعدة لحقيقة واحدة وهي أن النور الإلهي هو مصدر واحد للسعي الإنساني نحو المعرفة ومن ثم فالإيمان بالغيب لا ينقض تماما ما وصل إليه الإنسان وحقق به فعاليته.

ومن شرائط الفعالية الحضارية عند أحمد عروة الاعتقاد واليقين بأن العلم في الإسلام فضيلة ووسيلة خص الله بها الإنسان لإمكانية تحقيق إرادة الله في الإنسان كهدف بذاته وكمكلف بوظيفة استخلافية محورها الفاعلية والخيرية والاستعداد الروحاني لاستحقاق السعادة في عالم البقاء، أما مسألة التكليف فتنصرف إلى الأمانة والمسؤولية تجاه فاعليته على الأرض.

ومن شواهد الفاعلية الحضارية المتعلقة بالتكامل المنهجي والوظيفي بين العلم والدين من حيث أن العلم يقف كعامل أساسي في ترقية الضمير الديني وتوسيع آفاقه الحسية والعقلية وفي الحين ذاته يقوم العلم بإعطاء الإنسان الوسائل الإدراكية والعملية لتسخير تلك القوانين والطاقات لمصلحته ومهمته الاستخلافية أين يقوم الإيمان بتغذية العلم بأبعاده العقائدية والأخلاقية وهذا تماما محور الفاعلية الحضارية التي تستدعي المضامين المعرفية والمرجعية العقدية التي تؤسس للتصور الحضاري على مستوى الإسلام كعقيدة وشريعة

الخاتمة:

[10] –طايبي رتيبة، رجل الإصلاح النموذجي الإمام عبد الحميد بن باديس ودوره في نشر العلم وترقية المرأة في الجزائر، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، جامعة البليدة2، المجلد8، العدد1، ص100.

في نهاية الدراسة نصل إلى ما يلي:

-الدكتور أحمد عروة يعبر عن نموذج معرفي جزائري تنتظم به الثقافة الإسلامية والمعرفة الأجنبية.

-تستند شرائط الفاعلية الحضارية الإنسانية إلى ضرورة الجمع بين المعرفة الدينية والمعطيات العلمية.

-يعتبر الاتساق بين المعرفة الدينية والعلمية من ضرورات الفاعلية التي تفتح آفاق الإيجابية للفرد والمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع:

-أحمد عروة، العلم والدين –مناهج ومفاهيم-، ط1، دار الفكر العربي ، دمشق، 1408هـ-1987م، ص195-196.

-أحمد عروة، الإسلام في مفترق الطرق، المؤسسة الوطنية، الجزائر، 1966م.

-أحمد عروة، ندوة قضايا المنهجية في الفكر الإسلامي، المنهجية الاستدلالية في القرآن للرد على الخصوم، 9-12سبتمبر1989م.

-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الآميرية، القاهرة، 1403هـ-1983م. .

-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1985م.

- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، لبنان.

-محاضرة ألقيت في الملتقى الوطني الثالث حول حياة ومآثر وفكر الدكتور أحمد عروة-رحمه الله- الذي نظمته جمعية الثقافة والتراث بأمدومكال بجامعة باتنة يومي11و12 ماي 2011م

أبو عمران سامية، المفكر أحمد عروة بين الأصالة والحداثة بناء على كتابه الإسلام في مفترق الطرق، مقال بكتاب جماعي الدكتور احمد عروة 14رمضان 1436هـ-1جويلية 2015، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة، ص184

-بوترعة بلال: الفكرة الدينية وبناء الحضارة هند مالك بن نبي (الجلفة، مجلة المدار، جامعة زيان عاشور، المجلد1، العدد2). [1]

-لحلح الزهرة، التكامل بين العلم والدين في فكر أحمد عروة من خلال كتابه –العلم والدين مناهج ومفاهيم-كتاب جماعي حول أحمد عروة، 14 رمضان 1436-1جويلية2015.

-طايبي رتيبة، رجل الإصلاح النموذجي الإمام عبد الحميد بن باديس ودوره في نشر العلم وترقية المرأة في الجزائر، مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية، جامعة البليدة2، المجلد8، العدد1،